رمضانيات

اقتصادية رمضانية

أ . د / زيد بن محمد الرماني

المستشار الإقتصادي

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

شبكة الألوكة

www.alukah.net

الومضة الأولى

جاء رمضان

وردت في تسمية شهر رمضان عدة أقوال، وتكاد تجمع على أن إطلاق اسم رمضان نتج من مجيئه في أيام الحرّ الشديد، ولكونه يُرَمِّضُ الذنوبَ؛ أي: يحرقها.

قال ابن دريد: إن الناس قديمًا عندما نقلوا أسماء الشهور، صادف شهر الصوم أيام رمض - وحرارة شديدة، لذا سُمِّي شهر رمضان.

وقال أبو زكريا يحيى بن زياد الفرَّاء في كتابه (الأيام والليالي والشهور): وإنما سُمِّي رمضان؛ لرموض الحرّ وشدة وقع الحرّ فيه.

يقول عبدالقدوس الأنصاري في كتابه (الصيام وتفاسير الأحكام): شهر رمضان هو الشهر الوحيد الذي ذكر اسمه صريحًا في القرآن المجيد: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْه) سورة البقرة.

وقد كان المسلمون يقولون عند مقدم رمضان استقبالاً له: اللهم قد أظلّنا شهر رمضان وحضر، فسلّمه لنا وسلمنا له، وارزقنا صيامه وقيامه، وارزقنا فيه الجد والاجتهاد، والقوة والنشاط، وأعذنا فيه من الفتن.

وقال معلى بن الفضل: كانوا يدعون الله - تعالى - ستة أشهر أن يبلّغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم.

كان أحد الحدادين يعمل في ظهيرة يوم حار من أيام شهر رمضان، وكان جبينه يتصبب عرقًا، فقيل له: كيف تتمكن من الصوم والحر شديد والعمل مُضْنٍ؟ فأجاب: من يدرك قدر من يسأله، يهون عليه ما يبذله !

قال المهلَّب في (نيل الأوطار) الحكمة أن تعجيل الفطر أنه يزيد في النهار من الليل؛ لأنه أرفق بالصائم وأقوى على العبادة.

الومضة الثانية

الأبعاد الاقتصادية للصوم

إن للصوم أبعاداً اقتصادية عظيمة منها ما يدركها العقل البشري كأثره على صحة الإنسان مثلاً، الثروة البشرية، ومنها ما لا يستطيع العقل البشري إدراكه. فطوبى لمن اقتدى في صيامه وقيامه بمحمد(صلى الله عليه وسلم).

إن الإنسان أهم بكثير من أي نموذج أو نظرية هذا ما اكتشفه علماء الاقتصاد أخيراً ، فالإنسان هو الذي يقرّر مستوى رفاهه ودرجة ثرائه، وكل الأمر متوقف على قراره وسلوكه ، فبإمكانه إن أراد أن يكون معتدل الاستهلاك فيصبح حجم الوفر لديه بما يمكنه أن يصبح ثرياً، وبإمكانه إن كان نهم الاستهلاك كما هو حال الفرد في أغلب المجتمع الغربي أن يأكل ثروته.

وهكذا فمفتاح حل الأزمات إنما يكمن في التربية الاستهلاكية، ولذلك عادت مفردات التدبير والتوفير وحسن التصرف في المال، تشق طريقها إلى الدراسات الاقتصادية الحديثة .

ووجدنا من الاقتصاديين مَنْ يقول: لقد تحدثنا كثيراً عن قوانين الاقتصاد، ورسمنا المزيد من المنحنيات والمعادلات، ولكننا نسينا المتغير الأكبر الذي يقرر صلاحية أو عدم صلاحية كل ما تحدثنا عنه وتوقعناه وهو الإنسان.

الومضة الثالثة

رمضان فرصة عظيمة للاقتصاد

إنّ من واجب المسلم أن يعمل على توفير ما تقوم به الحياة من مأكل ومشرب وملبس ومسكن... إلخ من الضروريات، لصيانة دينه ونفسه ونسله، ولحفظ عقله وماله. كما يفترض في المسلم أن يتجنب النزعة الاستهلاكية قدر الإمكان. وإن كان هذا يختلف من شخص لآخر، بحسب يساره المادي وبقدر زهده في الدنيا ومباهجها، إلا أن هناك حدوداً لذلك ينبغي مراعاتها.لقد درجت أمانينا على اغتنام فرصة الصيام لتقويم الروح بفوائد روحية وتقويم الجسد بفوائد جسمية، فهل نتعود على اغتنام الفرصة لتقويم اقتصاد الأمة

وهو جسمها وروحها من داء عضال هو داء الاستهلاك الدائم من غير انتاج كاف؟! وهل يكون شهر رمضان فرصة ومجالاً لامتلاك إرادة التصدي لحالة الاستهلاك الشرهة التي تنتابنا في هذا الشهر الكريم؟!..

الومضة الرابعة

رسائل اقتصادية رمضانية

الخصائص الاقتصادية المرتبطة بشهر رمضان هي خصائص كامنة في جوهر الصيام، باعتباره مرتبطًا بقوًى اقتصادية؛ مثل: الاستهلاك والإنفاق والإشباع، ومقدار المنفعة ودرجة الحاجة، وتحريك هذه الخصائص وتنشيط فاعليتها، هو مهمة البشر على مستوى الأفراد لضبط استهلاكهم، وعلى مستوى المؤسسات بتوفير الوسائل الكفيلة بحسن توجيه الأموال، وحسن توظيف قوتها الاقتصادية، ثم إن الصوم من أقوى العبادات على تهذيب النفوس والسمو بالأرواح؛ إذ فيه إعداد للنفوس، وتهيئة لها على تقوى الله ومراقبته. وفي الصوم تربية على قوة الإرادة، وكبح جماح الشهوات وأنانية النفوس؛ ليقوى صاحبها على ترك ما يضره من مألوفاته - أكلًا، وشربًا ، أو متاعًا - والصوم ينمي في النفوس رعاية الأمانة، والإخلاص في العمل، وألا يراعي فيه غير وجه الله دون مداهنة أو مجاملة، والصوم يمثل ضربًا من ضروب الصبر الذي هو الثبات في القيام بالواجب في كل شأن من شؤون الحياة.

ثم إن للصوم أسرارًا يحسن العلم بها، وتتبيَّن هذه الأسرار من خلال مراتب الصوم الثلاثة، وهي: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص، فصوم العموم: هو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة، وصوم الخصوص يعني: كف النظر، واللسان، واليد، والرجل، والسمع، والبصر، وسائر الجوارح عن الآثام، وأما صوم خصوص الخصوص، فهو صوم القلب عن الهِمَم الدنيئة .

إن رمضان هو محاولة لصياغة نمط استهلاكي رشيد، وعملية تدريب مكثفة تستغرق شهرًا واحدًا تفهم الإنسان أن بإمكانه أن يعيش بإلغاء استهلاك بعض المفردات في حياته اليومية، ولساعات طويلة كل يوم،

وإنه محاولة تربوية لكسر "النهم الاستهلاكي" الذي أجمعَ علماء النفس المعاصرون على أنه حالة مرضية ، وأن مجال علاجه في علم النفس وليس علم الاقتصاد، وإن كان يصيب بتأثيراته أوضاع الاقتصاد وأحواله.

الومضة الخامسة

رمضان بلغة الاقتصاديين

إنَّ هناك علاقةً طرديَّة بين شهر الصوم والاستهلاك الشَّره، والمرء يُدهَش من هذا النَّهَم الاستهلاكي الذي يَستشري لدَى الناس عامَّة في هذا الشهر دون مبرِّر منطقي.

فالجميع يركض نحو دائرة الاستهلاك المفرِط، والاستعداد للاستهلاك في رمضان يبدأ مبكِّرًا، مصحوبًا بآلة رَهِيبة من الدعاية والإعلانات، والمهرجانات التَّسويقية التي تحاصر الأُسرة في كل مكان وزمان، ومن خلال أكثر من وسيلة.

فالزوجة تَضغط باتِّجاه شراء المزيد، والأولاد يُلِحُّون في مطالبهم الاستهلاكية، والمَزء نفسه لديه حالةُ شَرَاهة لشراء أيِّ شيء قابلٍ للاستهلاك، وبكميات أكثر من اللازم.

وبلغة الإحصاءات والأرقام، فإنَّه في أحد الأعوام قُدِّر نصيب شهر رمضان من جُملة الاستهلاك السَّنوي في دولة عربية قريبة منَّا على سبيل المثال - بحَوالي 20% أي: إنَّ هذه الدولة العربية الشقيقة تَستهلك في شهر واحد - وهو شهر رمضان - خُمُسَ استهلاكها السَّنوي كلِّه، بينما تَستهلك في الأشهر المتبقِّية الأربعة الأخماس الباقية، وقد كَلَّف رمضان في ذلك العام الخزانةَ حوالي 720 مليون دولار. وللأسف، فليست الدُّول العربية والإسلامية الأخرى بأقلَّ من تلك الدولة استهلاكًا. إن شهر الصوم فرصة ولا شكَّ، يتعلَّم فيها أفراد أمَّتنا عادةً اقتصادية حَميدة هي ترشيد الإنفاق، وهو أيضًا فرصة دورية للتعرف

على قائمة النفقات الواجبة، وفرصة لترتيب سُلَّم الأولويات، وفرصة للتعرُّف على مستوى

الفائض الممكن الذي ينبغي توجيهه إلى أغراض استثمارية .

إنَّ خطةً شاملة لمواجهة الشراهة الاستهلاكية أصبحَتْ مطلوبةً في رمضان وغير رمضان، خاصةً وأنَّ هذه الحالة من شراهة الاستهلاك المتنامية فينا - تَنمُّ عن المدى الهائل من التخلُّف السلوكي الذي تعيشه مجتمعاتنا الإسلامية.

والمتأمِّل لصناديق وأكياس القمامة وتِلاَل النفايات، يرى أنَّنا في حاجة ملحَّة لإعادة النظر في قيمنا الاستهلاكية باتِّجاه تعديلها؛ لتصبح قيمًا إنتاجية، أو قيمًا استهلاكية رشيدة. ذلك لأنَّ الاستهلاك والإنفاق لهما أبعاد خطيرة تهدِّد حياتنا الاقتصادية، وأمْنَنا الوطني. فهل يكون شهر رمضان فرصة ومجالاً لامتلاك إرادة التصدِّي لحالة الاستهلاك الشرهة وأساليب الإنفاق البذخية؟!

الومضة السادسة

ترتيب اولويات الاسرة الاستهلاكية

إن شهر الصيام فرصة دورية للتعرف على قائمة النفقات الواجبة بالمفهوم الاقتصادي، وعلى قائمة الاستبعاد النفقي ثم فرصة لترتيب سلم الأولويات، ثم فرصة كذلك للتعرف على مستوى الفائض الممكن. ثم، إن شهر رمضان فرصة لتحقيق ترشيد أفضل، ولتوسيع وعاء الفائض الممكن، ولكن شريطة أن يرتبط بالقاعدة القرآنية الإرشادية المعروفة:﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف:31] هذه القاعدة، ولاشك هي ميدان الترشيد على المستوى الفردي والمستوى العام.

لقد أكدّ الباحثون على حقيقة مهمة تنص على أن فوضى الاستهلاك تبرز بوضوح، حينما تبدأ الزوجة بعرض نفقاتها لتكون نفقات من السلع والمواد الغذائية التي تبتلع فعلاً الدخل الشهري حتى آخر قرش فيه.

وتنتقل عدوى التبذير إلى الأطفال فينمو معهم انعدام الحس بقيمة الأشياء فلا يحافظون بالتالي على ألعابهم أو كتبهم. وفي ظل ذلك، لا يعود قضية وقتية حالية، بل مسألة تمتد إلى المستقبل ولا يعود التبذير والترف مقتصراً على الأسرة بل والوطن كذلك. فشهر رمضان، يجري تحويله عاماً بعد عام إلى مناسبة للترويج الكثيف والحاد لمختلف السلع، وتسهم في ذلك بقوة مختلف وسائل الإعلام